معنى حديث: (العدوى ليست بحق)

ما معنى نفي (العدوى) في حديث علي ع في نهج البلاغة: ([و من كلامه ع في العين و السحر و الفأل و العدوى و الطيرة]:

وَ قَالَ ع :

الْعَيْنُ حَقٌّ وَ الرُّقَى حَقٌّ وَ السِّحْرُ حَقٌّ وَ الْفَأْلُ حَقٌّ

وَ الطِّيَرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ وَ الْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ

وَ الطِّيبُ نُشْرَةٌ وَ الْعَسَلُ نُشْرَةٌ وَ الرُّكُوبُ نُشْرَةٌ وَ النَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ) ؟

[الجواب] :

قوله عليه السلام: (العدوى ليست بحق)، أي ما كان يعتقده الناس أن المرض ينتقل بنفسه بلا سبب هو اعتقاد باطل، بل ينتقل المرض بسبب، وينبغي التوقي عن هذا السبب وعلاجه، وأن هذا الاعتقاد الباطل سببه الجهل، ومن أسباب الوسوسة، حاله كالتطير والتشاؤم المنهي عنه.

فالرواية فيها دعوة للعلم والبحث، وفيها ردع عن الجهل والتجهيل.

[وتفصيل الجواب] :

يتضح بشرح الحديث ومفرداته:

الحق: بمعنى الأمر الواقع، والنُّشرَةُ: بمعنى العوذة والوقاء.

فهذه أسباب كان يعتقد الناس تأثيرها، وهي:

العين: تأثير النفوس – الخيرة أو الشريرة – على بعض الصحة والاعتلال لقوتها بغير اختيار منها.

والسحر: إيهام الحواس بغير الواقع، بتسليط الجن غالبا.

والفأل: التفاؤل بالخير؛ فإنه مجلبة للثقة ومصدر لإتمام العمل بإقبال النفوس وداع لعلو الهمم.

والطيرة: التشاؤم بأسباب باطلة غير مؤثرة، كرؤية الطير على جهة، ونعيق الغراب، وتكسر الأواني.

[العدوى ليست بحق]:

والعدوى عند العرب هي اعتقاد انتقال الشر والنحس –من مرض أو عاهة– بنفسه بغير سبب، وقد كانوا يعتقدون –كغيرهم– أن المرض بواعثه وأسبابه غيبية وأنه هكذا ينتقل دون علة ناقلة.

وفي الخبر: (عَنْهُ ع أَنَّهُ قَالَ: لَا عَدْوَى وَ لَا طِيَرَةَ وَ لَا هَامَ، وَ الْعَيْنُ حَقٌّ وَ الْفَأْلُ حَقٌّ، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى إِنْسَانٍ أَوْ دَابَّةٍ أَوْ إِلَى شَيْءٍ حَسَنٍ فَأَعْجَبَهُ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ عَيْنُهُ).

[شرح خبر روضة الكافي]

ومن قبيل الخبر السابق ما رواه الكليني في روضة الكافي:

بسنده عن النَّضْرُ بْنُ قِرْوَاشٍ الْجَمَّالُ، قَالَ:

(سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْجِمَالِ يَكُونُ بِهَا الْجَرَبُ: أَعْزِلُهَا مِنْ إِبِلِي مَخَافَةَ أَنْ يُعْدِيَهَا جَرَبُهَا، وَ الدَّابَّةِ رُبَّمَا صَفَرْتُ لَهَا حَتَّى تَشْرَبَ الْمَاءَ؟

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ أَعْرَابِيّاً أَتى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُصِيبُ الشَّاةَ وَ الْبَقَرَةَ وَ النَّاقَةَ بِالثَّمَنِ الْيَسِيرِ وَ بِهَا جَرَبٌ، (فَأَكْرَهُ شِرَاءَهَا مَخَافَةَ أَنْ يُعْدِيَ ذلِكَ الْجَرَبُ إِبِلِي وَ غَنَمِي)؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: يَا أَعْرَابِيُّ، فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: لَا عَدْوى، وَ لَا طِيَرَةَ) الحديث.

وهـذا الخـبر مـن أخبـار روضـة الكـافي، وهـي دون اعتبـار باقـي أجـزاء كتـاب الكليـني، معـدودة في النـوادر والطرائـف، رواويـه النضـر بـن قـرواش قليـل الروايـة مهمـل الوصـف لم يـذكر لـه توثيـق، غـير أن الثقات رووا عنه ولم يغمز فيه ولا في حديثه.

وأمـا ظـاهر متنـه، فـيمكن دعـوى معارضـته لمسـلمات الطـب، ومـا أرسـل عـن النـبي ص: (لَا يُـورِدَنَّ ذُو عَاهَةٍ عَلَى مُصِحٍّ)، و (فر من المجذوم فرارك كم الأسد).

فوجب بيان الخبر على وجه ظاهر صحيح ، أو تأويل المعنى على وجه سليم ، بأن يقال:

أن النـبي صـلى الله عليـه وآلـه نبهـه علـى بطـلان اعتقـاد الأعـرابي في عـدوى المـرض الـذي خافـه مـن تلـك الجهـة بقولـه (فَـأَكْرَهُ شِـرَاءَهَا مَخَافَـةَ أَنْ يُعْـدِيَ ذلِـكَ الْجَـرَبُ إِبِلِـي وَ غَنَمِـي)، ونبهـه إلى أن العـدوى إنمـا هـي لسـبب هـو مـا يجـب توقيـه وعلاجـه، وهـو الـذي أمـرض الأولى، فـلا يكـرهن أحـد شراء شيء بهذا الاعتقاد، وليعرف أنه يمكنه التوقي عن العدوى بمعرفة سبب المرض.

ولهـذا أوردهـا الشـيخ الحـر رحمـه الله في باب كراهـة الحـذر مـن العـدوى، وقـرن معـه في النهـي؛ حـتى لا يكون الجهل داعيا للوسوسة وتعطيل مصالح الناس ومعاشهم.

وهـذا الاعتقـاد والتشـؤم لازالـت رواسـبه إلى اليـوم، بـل نشـط الاعتقـاد بـه بعـد خمولـه، وقولـه صـلى الله عليـه وآلـه لا يـزال حاضـرا إلى الأبـد ينهـى عنـه، ولا ينبغـي للمـؤمن أن يـربط المسـببات بغـير أسـباباها الواقعيـة، ولا ينكـر مـا لـه سـبب واقعـي وإن جهـل حقيقتـه وتفاصـيله، بـل يحـرم تكـذيب الصـحيح مـن الأخبـار والمعتـبر منهـا ويجـب السـؤال عنـد الجهـل والتوقـف عـن الحـيرة وعـدم التعجـل بالمعـاني، ورد كـل ذلك لأهل العلم صلوات الله عليهم أجمعين.

أجاب عنه: محمد علي العربي